

المبحث الثالث : الأثر الفكري للآريوسية

يتمثل الأثر الفكري للآريوسيين في أمور منها المصنفات لا سيما مصنفات آريوس ، والمحاورة لا سيما ما وقع بين آريوس وأثناسيوس ، والردود الأثناسيوسية على آريوس والآريوسية والتي كانت تتضمن أفكار الآريوسيين حال نقدها من وجهة النظر النيقية:

أولا : مؤلفات آريوس : استحوذ آريوس على مركز مهم في التاريخ الكنسي بأفكاره التي جادل عنها في مناظراته ودونها في كتاباته ، ومن هذه الكتابات التي وصلتنا عنه من خلال معارضيه :

1- رسالة إلى أسقف نيقوميديّة : وقد حفظها لنا إبيفانيوس في كتابه "باناريون". وكذلك ثيودوريتس في كتابه "التاريخ الكنسي". وفي هذه الرسالة يجتج على تحامل الكسندروس ضده وضد أتباعه ويعرض آراءه وتعاليمه في صراحة تامة، ويقول أن الابن "ليس غير مولود" Agenntos ولا "جزء من غير المولود" وفي النهاية يستنجد بيوسابيوس أسقف نيقوميديا مسميا إياه أنه من "الاتحاد اللوكياني" ، وقد ذكرنا نص الخطاب سابقا .

2- رسالة إلى الكسندروس أسقف الإسكندرية سنة 320م : حفظت هذه الرسالة في أعمال "أثناسيوس عن المجامع" ، وفي كتاب "باناريون" لإبيفانيوس. كما حفظت باللغة اللاتينية في كتاب "الثالوث ليلاري". وهي الاعتراف الإجمالي الذي كان قد قدمه لمجمع نيقوميديا الأول والذي عقده الآريوسيون المنفيون، وفي هذه الرسالة تحاشى التعبيرات المثيرة واعتبر أن "الابن قد ولد قبل كل الدهور". إلا أنه لم يكن موجودا من قبل أن يولد⁽¹⁾.

وهذا جزء من نص الخطاب كما ورد عند المخالفين لآريوس :[الذي ولد الابن الوحيد قبل الأزمنة الآيونية (الأبدية)، الذي فيه عمل الآيونات و كل شيء ، الذي صيره لا بالمظهر بل بالحقيقة; مُعطياً إياه الكيان (υποστησαντα) بمشيئته الذاتية. غير مُتغيّر و غير مُتحوّل، مخلوق (κτισμα) الله كامل ، و لكنّه ليس كأى المخلوقات، صائر (γεννημα) و لكنه ليس كأحد الأشياء الصائرة ، صائراً بواسطة الله ليس كما كتب فالنتينوس عن كونه نزيهاً منه، ولا كما علّم ماني أنه جزء جوهريّ من الأب، ولا كما قال سابيلوس قاسماً الواحد

1- Cf. Bardy G., Recherches... 216-278

(Μόναδ) إلى أب إين (υιοπατέρα - Sonfather)، ولا كقول هيراكليس أنه كنور من نور أو كمصباح إنقسم إلى إثنين، ولا كواحد موجود مُسَبَّحاً قد جعل إبناً بالتبني أو الخلق ولكن كما نُصِّر، خُلق بمشيئة الله قبل الأزمنة و قبل أن تحيا الآيونات و أن تكون من الآب بأشكال عديدة من المجد، لأنه أعطاه الكيان بجانبه⁽¹⁾

3- اعتراف الإيمان : حفظت هذه الرسالة في التاريخ الكنسى لسقراط والتاريخ الكنسى

لسوزومينوس ، وفي هذه الرسالة حسب كلام المخالفين الذى لا يمكننا أن نقبله فإن آريوس حجب عقيدته الحقيقية وقال بأن الابن قد ولد قبل كل الدهور لأنه لو كتبت كلمة gegennimenos المولود" بحذف حرف n منها أي gegenimenos لتغير معناها وأصبحت تعنى المخلوق وليس المولود ، ومما قاله في هذه الرسالة حسب نقولات المخالفين لآريوس " نؤمن بإله واحد، الآب القدير؛ وبالرب يسوع المسيح ابنه، المولود منه قبل كل الدهور، الله الكلمة الذي به صنع كل شيء، ما في السموات وما على الأرض. الذي نزل وصار متجسداً؛ وتألم، وقام ثانية؛ وصعد إلى السموات؛ وسيأتي ثانية ليدين الأحياء والأموات، ونؤمن أيضا بالروح القدس ، وبقِيامة الجسد و حياة الدهر الآتي، وبملكوت السموات، وبكنيسة الله الواحدة الجامعة، الممتدة من أقصى الأرض إلى أقصاها. الإيمان الذي استلمناه من الأنجيل المقدسة، حيث يقول الرب لتلاميذه " - اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس".

قلت : لا يمكننا أبداً أن نثق في مثل هذه الرواية رغم أن كثيرا من المصادر ذكرتها ، ولكن شخصية آريوس ونضاله عن فكره ومعتقده ، وتعرضه للنفي وللتكيب كل ذلك يجعلنا لا نثق فيما حوته هذه الرسالة .

4- ثانيا : حفظ أثناسيوس في كتاباته بعض نصوص هذا الكتاب . وكلمة "ثالثا" معناها

مأدبة أدبية. وقد دبجها كلها تقريبا بأبيات منظومة وبلحن جميل . وفي افتتاحيتها نجد يظهر نفسه أنه مملوء بالعقيدة والعواطف الشجية عندما يتحدث عن الله فيقول :

1- Search for the Christian Doctrine of God, p7.

"حسب إيمان مختارى الله" الذين لهم إدراك ووعى بالله من الرجال القديسين الذين يتصفون بالعقائد المستقيمة، هؤلاء الذين حصلوا على روح الله القدوس. وأنا على الأقل تعلمت هذه الأمور من أناس لهم نصيب كبير من الحكمة. أناس مدهشون من المعلمين لأمر الله. وعموماً فإنهم يعتبرون من الحكماء ، وقد اقتفيت أنا آثار هؤلاء وسرت على درهم وها أنا أسير فى نفس الطريق، معلماً لنفس هذه المبادئ، أنا الذائع الصيت، ولقد عانيت الكثير لأجل مجد الله، وعرفت الحكمة والمعرفة، وهى التعاليم المستقاة من الله. لم يكن الله أباً فى كل حين بل كان هناك وقت حين كان الله وحده، ولم يكن أباً بعد، بل قد صار أباً فيما بعد... والابن لم يكن موجوداً دائماً. لأن كل الأشياء قد خلقت من العدم، وكان هناك وقت لم يكن فيه الابن موجوداً، ولم يكن له وجود قبل أن يصير، بل هو نفسه كان له بداية تكوين وخلقة.

ويقول: "لأن الله كان وحده ، ولم يكن هناك الكلمة والحكمة بعد.. من ثم فعندما أراد الله أن يخلقنا، فإنه عندئذ قام بصنع كائن ما وسماه اللوغوس والحكمة والابن، كى يخلقنا بواسطته"

ويقول أيضاً: إنه توجد كلمة أخرى فى الله غير الابن. وأيضاً إن الابن قد سمي كلمة وابتأ بسبب مشاركته للكلمة حسب النعمة. إنه توجد قوات كثيرة، إحداها هى قوة الله ذاته بحسب طبيعته الذاتية الأبدية. أما المسيح فليس هو قوة الله الحقيقية، بل إنه هو أيضاً قوة من تلك التى تدعى قوات. والتى تعتبر إحداها هى قوة الله ذاته بحسب طبيعته الذاتية الأبدية ، والتى تعتبر إحداها أيضاً الجراة والدودة، وهى ليست قوة وحسب بل أعلن عنها أيضاً أنها قوة عظيمة . أما القوات الأخرى المتعددة فهى مثل الابن. وأن داود أنشد عنها بقوله: "رب القوات" (مز24:10). والكلمة نفسه أيضاً. مثل كل القوات متغير بحسب طبيعته. ويبقى صالحاً بإرادته الحرة - الى أى وقت يريده. ولكنه حينما يريد، فإنه يستطيع أن يتحول مثلنا، إذ إنه قوة طبيعة متغيرة.

ويقول أيضاً "بما أن الله عرف بسبق علمه بأن الكلمة سيكون صالحاً فقد منحه هذا المجد. الذى حصل عليه مقدما بعد ذلك كإنسان، بسبب الفضيلة، ولهذا فإن الله - بسبب

أعماله التي كان يعرفها بسبق علمه أنها ستعمل - خلقه بمثل هذه الصورة التي صار عليها الآن".

"الكلمة ليس إلهاً حقيقياً، وحتى إن كان يدعى إلهاً لكنه ليس إلهاً حقيقياً. وإنما هو إله بمشاركة النعمة مثل جميع الآخرين، وهكذا فإنه يسمى إلهاً بالاسم فقط. وكما أن جميع الكائنات غريبة عن طبيعة الله ومختلفة عنه في الجوهر. هكذا الكلمة أيضاً يعتبر غريباً عن جوهر الأب وذاتيته ومختلفاً عنه، بل هو ينتمي إلى الأشياء المخلوقة والمصنوعة، وهو نفسه أحد هذه المخلوقات".

ويقول: " وحتى الابن فإنه لا يرى الأب " وأن " الكلمة لا يستطيع أن يرى أو أن يعرف أباه تماماً بصورة كاملة، ولكن ما يعرفه وما يراه، فإنه يعرفه ويراه بقدر طاقته الذاتية، مثلما نعرف نحن أيضاً بقدر طاقتنا الذاتية". إن الابن ليس فقط لا يعرف تمام المعرفة، إذ هو يعجز عن هذا الإدراك، بل إن الابن نفسه لا يعرف حتى جوهره الخاص به، وأن كل من الأب والابن والروح القدس، جوهره منفصل عن الآخر حسب الطبيعة، وأنهم مقسمون ومتباعدون وغرباء عن بعضهم البعض، وليس لهم شركة أحدهم مع الآخر، إذ إنهم غير متشابهين تماماً في الجوهر والمجد بلا نهاية". إن الكلمة تعتبر مختلفة تماماً عن كل من الأب والروح القدس⁽¹⁾".

وهذه نماذج مما ورد في كتاب الثالوث لآريوس منقولة عن مخالفة بنصها اليوناني مع الترجمة العربية، وهي إلى حد ما توضح آثاره الفكرية ومذهبه وتعاليمه⁽²⁾.

1- جمعنا هذه المقتطفات من ردود أثناسيوس على آريوس والآريوسيين، أنظر: أثناسيوس، الشهادة لألوهية المسيح، 1/ 118؛ فيلوستورجيوس، التاريخ الكنسي، 2/2؛ سانت باتريشيا، الرد على اعتراضات الآريوسيين للقديس أثناسيوس.

2-The Historical Writings of St. Athanasius according to the Benedictine Text, Oxford: Clarendon, 1881, pp. 259-260; m.simonetti, arius, arianisme, deca, pp.238-244.

<p>Αὐτός γοῦν ὁ Θεὸς καθὼ ἐστίν, ἄρρήτος ἅπασιν ὑπάρχει. Ἴσον, οὐδὲ ὅμοιον, οὐχ ὁμόδοξον ἔχει μόνος οὗτος. Ἀγέννητον δὲ αὐτόν φαμεν διὰ τὸν τὴν φύσιν γεννητὸν τοῦτον ἄναρχον ἀνυμνοῦμεν διὰ τὸν ἀρχὴν ἔχοντα, αἴδιον δὲ αὐτόν σέβομεν διὰ τὸν ἐν χρόνῳ γεγαότα.</p>	<p>1. والله نفسه، كما هو، لا يوصف للكل هو وحده ليس له مساو، لا أحد يشبهه، ولا لأحد نفس مجده نحن نطلق عليه الأبدي، في مقابل الذي جُبل بطبيعته نحمده فهو بلا بداية في مقابل الذي له بداية نحن نعبده فهو بلا زمن، في مقابل الذي في زمن جاء للوجود</p>
<p>Ἀρχὴν τὸν Υἱὸν ἔθηκε τῶν γενητῶν ὁ ἄναρχος, καὶ ἤνεγκεν εἰς Υἱὸν ἑαυτῷ τόνδε τεκνοποίησας, Ἴδιον οὐδὲν ἔχει τοῦ Θεοῦ καθ' ὑπόστασιν ἰδιότητος· οὐδὲ γὰρ ἐστίν ἴσος, ἀλλ' οὐδὲ ὁμοούσιος αὐτῷ.</p>	<p>6. هو الذي بلا بداية، صنع الابن كبداية لكل الأشياء المخلوقة أحدثه كإبن له بولادته له هو [الابن] ليس له تلك الصفات المميزة لوجود الله نفسه لأنه ليس مساوي له، ولا هو نفس من نفس وجوده [جوهره]</p>
<p>Σοφὸς δὲ ἐστίν ὁ Θεός, ὅτι τῆς σοφίας διδάσκαλος αὐτός. Ἰκανὴ δὲ ἀπόδειξις, ὅτι ὁ Θεὸς ἀόρατος ἅπασιν, τοῖς τε διὰ Υἱοῦ καὶ αὐτῷ τῷ Υἱῷ ἀόρατος ὁ αὐτός.</p>	<p>10. الله هو حكيم، لأنه نفسه معلم الحكمة دليل كافي أن الله غير مرئي للجميع: هو غير مرئي على حد سواء للأشياء التي صنعت بواسطة الإبن، وأيضا</p>

<p>Ῥητῶς δὲ λέξω, πῶς τῷ Υἱῷ ὁράται ὁ ἀόρατος, τῇ δυνάμει ἢ δύναται ὁ Θεὸς ἰδεῖν ἰδίους τε μέτροις ὑπομένει ὁ Υἱὸς ἰδεῖν τὸν Πατέρα, ὡς θέμις ἐστίν.</p>	<p>التي صنعن للإبن نفسه 13. سأقول على وجه التحديد كيف أن غير المرئي هو مرئي بواسطة الإبن: عبر هذه القوة التي بواسطة الله قادر على الرؤية، كل منهما وفقاً لمقداره الإبن يقدر أن يتحمل رؤية الآب، كما هو مقدر</p>
<p>Ἦγουν Τριάς ἐστὶ δόξαις οὐχ ὁμοίαις· ἀνεπίμικτοι ἑαυταῖς εἰσὶν αἱ ὑποστάσεις αὐτῶν, μία τῆς μιᾶς ἐνδοξοτέρα δόξαις ἐπ’ ἄπειρον. Ξένος τοῦ Υἱοῦ κατ’ οὐσίαν ὁ Πατήρ, ὅτι ἄναρχος ὑπάρχει.</p>	<p>16. إذاً هناك ثلاث، لكن غير متساوٍ في المجد كياناتهم (جواهرهم) ليست مختلطة فيما بينها بقدر أمجادهم، واحد بلا حدود أكثر مجداً من الآخر الآب في جوهره مختلف عن الإبن، لأنه موجود بلا بداية</p>
<p>Σύνες ὅτι ἡ μονὰς ἦν· ἡ δυὰς δὲ οὐκ ἦν, πρὶν ὑπάρξει. Αὐτίκα γοῦν, Υἱοῦ μὴ ὄντος, ὁ Πατὴρ Θεὸς ἐστὶ. Λοιπὸν ὁ Υἱὸς οὐκ ὦν (ὑπῆρξε δὲ θελήσει πατρῶα), μονογενῆς Θεός ἐστὶ, καὶ ἑκατέρων ἀλλότριος οὗτος.</p>	<p>20. افهموا أن الوجدانية [أبدياً] كانت، لكن الازدواجية لم تكن قبل أن تأتي لحيز الوجود أنها تعقب هذا مباشرة، بالرغم أن الإبن لم يكن، الآب كان لا يزال الله ومن ثم الإبن كونه [غير ازلي] جاء للوجود بإرادة الآب هو الإله الوحيد الذي وُلد، وهو</p>

	مختلف عن [كل] الآخرين
<p>Ἡ Σοφία σοφία ὑπῆρξε σοφοῦ Θεοῦ θελήσει.</p> <p>Ἐπινοεῖται γοῦν μυρίαὶς ὄσαις ἐπινοίαις Πνεῦμα, δύναμις, σοφία, δόξα Θεοῦ, ἀλήθειά τε καὶ εἰκῶν καὶ Λόγος οὗτος.</p> <p>Σύνες, ὅτι καὶ ἀπαύγασμα καὶ φῶς ἐπινοεῖται.</p> <p>ἴσον μὲν τοῦ Υἱοῦ γεννῶν δυνατός ἐστιν ὁ κρείττων·</p> <p>Διαφορώτερον δὲ, ἢ κρείττονα, ἢ μείζονα, οὐχί.</p> <p>Θεοῦ θελήσει ὁ Υἱὸς ἡλίκος καὶ ὅσος ἐστίν, ἐξ ὅτε καὶ ἀφ' οὗ, καὶ ἀπὸ τότε ἐκ τοῦ Θεοῦ ὑπέστη, ἰσχυρὸς Θεὸς ὢν, τὸν κρείττονα ἐκ μέρους ὑμνεῖ.</p>	<p>24. الحكمة أصبحت حكمة بإرادة الله الحكيم ولهذا يمكن تصويره بطريق لا تحصى. هوروح قوة، حكمة، مجد الله، حق، صورة، وكلمة أفهموا أيضًا أنه يمكن تصويره كشعاع (بهاء) ونور الواحد الفائق يقدر أن يلد واحدًا مساويًا للإبن لكن ليس واحدًا بنفس الأهمية، أو التفوق، أو العظمة بمشيئة الله، الإبن له العظمة والصفات التي له (للإبن) وجوده منذ متي ومن أين ومنذ ذلك الحين - كله من الله إنه، على الرغم أنه إله قوي، يسبح جزئيًا الذي يفوقه</p>
<p>Συνελόντι εἰπεῖν τῷ Υἱῷ ὁ Θεὸς ἄρρητος ὑπάρχει, ἔστι γὰρ ἑαυτῷ ὃ ἐστι, τοῦτ' ἔστιν ἄλεκτος· ὥστε οὐδὲν τῶν λεγομένων κατὰ τε</p>	<p>33. باختصار، الله لا يمكن التعبير عنه (لا ينطق) في الإبن لأنه هو في نفسه هو ما يكونه، هذا، لا يمكن وصفه</p>

<p>κατάληψιν συνεί ἐξειπεῖν ὁ Υἱός. Ἀδύνατα γὰρ αὐτῷ τὸν Πατέρα τε ἐξιχνιάσαι, ὅς ἐστιν ἐφ' ἑαυτοῦ. Αὐτὸς γὰρ ὁ Υἱὸς τὴν ἑαυτοῦ οὐσίαν οὐκ οἶδεν, Υἱὸς γὰρ ὢν, θελήσει Πατρὸς ὑπῆρξεν ἀληθῶς.</p>	<p>لهذا فالابن لا يفهم كل هذه الأمور، أو له الفهم لتفسيرها لأنه من المستحيل عليه يسبر أغوار الآب، الذي هو وحده لأن الابن نفسه لا يعرف حتى جوهر نفسه لكونه ابن، وجوده بالتأكيد عند مشيئة الآب</p>
<p>Τίς γοῦν λόγος συγχωρεῖ τὸν ἐκ Πατρὸς ὄντα αὐτὸν τὸν γεννήσαντα γνῶναι ἐν καταλήψει; δῆλον γὰρ, ὅτι τὸ ἀρχὴν ἔχον, τὸν ἀναρχον, ὡς ἔστιν, ἐμπερινοῆσαι ἢ ἐμπεριδράξασθαι, οὐχ οἷόν τε ἐστιν.</p>	<p>39. ماهو المنطق الذي يسمح، للذي من الآب أن يفهم ويعرف أباه؟ لأنه من الجلي، أن الذي له بداية لا يستطيع أن يتصور أو يدرك وجود الذي له ليس بداية</p>

وقد أشار أثناسيوس إلى أنه كان لآريوس مجموعة أخرى من الأشعار لكل مناسبة من مناسبات الحياة. (كما) في المجموعة التي تسمى "البحرية"، "الرحى"، "الرحلة".. الخ، ووفقا لما يقوله أثناسيوس الخضم اللدود لآريوس فإن كل هذه القصائد قد دبجت بلهجة ونعمة مثل التي كان يكتب بها سوتيدوس أشعاره القومية.. التي كانوا يتغنون بها في مآذهم.

ثانيا : الحوار والمناظرة : وقعت بين آريوس وأثناسيوس العديد من الحوارات ، ومن جملتها هذا الحوار الذى وجدناه فى أحد المصادر المسيحية المؤيدة لأثناسيوس ، ورغم ذلك فإنه بلا شك يمثل أثرا فكريا واضحا للآريوسيين ، وهذا نصه :

قال آريوس: " أن سليمان الملك تكلم بلسان المسيح قائلاً: "خلقنى أول طرقة" (أم8 : 22).

قال أثناسيوس : معنى ذلك هو أن الرب ولدنى لأن النص العبرانى يذكر عوض خلقنى (قنانى) الرَّبُّ قَنَانِي أَوَّلَ طَرِيقِهِ أَى وَلَدْنِي كَمَا يُقَالُ قَنَى الإِلهُ وَلَدًا أَى وَلَدَ لَهُ وَيُؤَيِّدُ هَذَا التفسير ما ورد فى نفس الفصل إذ يقول : مُنْذُ الأَزَلِ مُسِحْتُ ، مُنْذُ البَدْءِ ، مُنْذُ أَوَائِلِ الأَرْضِ . 24 إِذْ لَمْ يَكُنْ عَمْرٌ أُبْدِئْتُ . إِذْ لَمْ تَكُنْ يَنَابِيعُ كَثِيرَةٌ المِيَاهِ . 25 مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقَرَّرَتِ الجِبَالُ ، قَبْلَ التَّلَالِ أُبْدِئْتُ . 26 إِذْ لَمْ يَكُنْ قَدْ صَنَعَ الأَرْضَ بَعْدُ وَلَا البَرَارِيَّ وَلَا أَوَّلَ أَعْفَارِ المُسْكُونَةِ . 27 لَمَّا ثَبَّتَ السَّمَاوَاتِ كُنْتُ هُنَاكَ (أمثال 8 : 23 - 27) أَنْتَ ابْنِي ، أَنَا اليَوْمَ وَلَدْتُكَ . (مز: 2: 7) (أعمال 13: 33) (العبرانيين 1: 5) .

قال آريوس : " إن الإبن قال : ، لَأَنَّ أَبِي أعْظَمُ مِنِّي (يوحنا 14: 28) فعلى هذا يكون الإبن أصغر من الآب ولا يساويه فى الجوهر .

قال أثناسيوس - : " إن الإبن دون الآب لكونه تجسد كما يتضح ذلك من نفس الآية [لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لِأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الآبِ ، لِأَنَّ أَبِي أعْظَمُ مِنِّي] أى أنه بناسوته يمضى إلى الآب الذى هو أعظم من ناسوت الإبن ، وإلا كيف يتكلم بلاهوته أنه يمضى إلى الآب حال كونه فى حضن الآب (يو 1: 18) ، ومما يؤيد ذلك أنه فى نفس الفصل (الإصحاح) يتكلم باللاهوت ويبين مساواته لأبيه بالجوهر بقوله [من رآنى فقد رأى الآب وأنا فى الآب والآب فى وكل ما للآب فهو لى وكل مالى فهو له لأنه نحن والآب واحد] .

قال آريوس - : أن المسيح قال [«دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ (متى 28 :

18] فذكر هنا أنه نال السلطان من أبيه لأنه أعظم منه وغير مساو له.

قال أنثاسيوس - : " يعنى أن الإبن بولادته الأزلية من الأب قد ملك كل سلطان أو أنه قال ذلك حسب كونه متأنساً لأنه في أثر هذا القول ساوى نفسه بأبيه بقوله لتلاميذه : فَادْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْأَبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ (متى 28 : 19) .

قال آريوس - : " أن المسيح نسب إلى ذاته عدم معرفة ساعة الدينونة بقوله لتلاميذه [32 «وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِنَّ أَحَدٌ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا الْإِبْنُ، إِلَّا الْأَبُ. 33 أَنْظَرُوا! اسْهَرُوا وَصَلُّوا، لِأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَتَى يَكُونُ الْوَقْتُ (مرقس 13 :

32) إذا كان الابن لا يعرف الدينونة فكيف يكون إلهاً.

قال أنثاسيوس - : " أن المسيح قال ذلك لتلاميذه لئلا يسأله عن هذا السر الذى لا يجوز لهم أن يطلعوا عليه كما يقول صاحب السر أنى لا أعلم هذه المسألة أى لا أعلمها علماً يباح به لأن بطرس قال له : يارب أنت تعرف كل شئ !!.

قال آريوس - : إن المسيح قال [لَأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ، لَيْسَ لِأَعْمَلِ مَشِيئَتِي، بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي (يوحنا 6 : 38)] فإذا هو عبد للأب ودونه.

قال أنثاسيوس - : " أن المسيح تكلم في مواضع كثيرة بحسب كونه إلهاً صار أنساناً كقوله [إِنْ لَمْ يُمَكِّنْ أَنْ تَعْبُرَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ (متى 26 : 42) ، (قائلاً: «إِلُوي، إِلُوي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» الَّذِي تَفْسِيرُهُ: إِلْهِي، إِلْهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ (مر 15 : 43) ، :إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلْهِي وَإِلْهَيْكُمْ». (يوحنا 20 : 17) ، ومثل ذلك صلاته إلى أبيه مراراً كثيرة وبصفتة كونه إلهاً قال "من رانى فقد رأى الأب" و "أنا فى الأب والأب فى" و "أنا والأب واحد" وفى نفس الفصل الوارد فيه أية الاعتراض قال " كما أن الأب يقيم الموتى ويحييهم كذلك الإبن يحيى من يشاء ليكرم الجميع الإبن كما يكرمون الأب " وغير ذلك كثير من أقوال المسيح التى تصرح بمساواة لاهوته للاهوت أبيه فى الأرية والعظمة والقدرة.

قال آريوس : إن يوحنا قال فى بشارته عن الإبن " كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئء ممن كان " (يو 1 : 3) فهذا القول يدل على أن الإبن أله أستخدمها الأب لصنع الخلائق فالإبن إذاً ليس إلهاً خالقاً.

قال أثناسيوس : إن الأب خلق بالإبن أى بواسطة الإبن الخالق كما يقال بنى الملك المدينة بأبنة فالملك وابنه يعدان بانبي المدينة ولا سيما أن يوحنا صرح بلاهوت الإبن وأزليته ومساواته لأبيه في الجوهر والقدرة والإبداع في بشارته وفي رسائله حيث قال " الذى كان منذ البدء الذى سمعناه الذى رأيناه الذى لمستته ايدينا " (1 يو 1 : 1) وأيضاً " الشهود في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد " (1 يو 5 : 7) وفي الرؤيا " أنا هو الألف والياء البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذى كان والذى يأتي القادر على كل شيء (رؤ 1 : 8) وقوله " للجالس على العرش وللحمل البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الأبدين " (رؤ 5 : 13) وفي أول النص الوارد فيه أية الاعتراض نص البشير بجلاء عن لاهوت الإبن بقوله " في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله " فكيف يكون معنى قوله بعد هذا التصريح أن الإبن ليس بإله خالق ولكن أله لصنع الخلائق وقد أعترف داود النبي بأن الإبن خالق كما قال " أنت يارب أسست الأرض والسماوات صنع يديك " ولا ريب أن هذا القول يخاطب به النبي " إبن الله " كما فهم ذلك الرسول (عب 1 : 10) فقد إتضح أن " إبن الله " خالق نظير أبيه وإله مساوٍ له في الجوهر والعظمة والمجد⁽¹⁾.

لم تقتصر الحوارات والمناظرات على ما وقع بين آريوس وأثناسيوس . بل وجدنا نشاطاً فكرياً للأريوسية تعدى حدود الديانة المسيحية ، وهو ما يتضح من فعل آتيوس ذلكم الرجل الأريوسى العظيم الذى يمم وجهه من أنطاكية إلى الإسكندرية عام 340م ليقف في وجه أباطيل أحد المانويين النشطين وهو أفثونيوس ، الذى كان قد نال شهرة كبيرة ، وبالفعل وقعت المناظرة بين آتيوس الأريوسى ، وبين أفثونيوس المانوى ، وانتهت لصالح آتيوس حسب تعليق فيلوستورجيوس والذى جاء فيه : " إن آتيوس بفصاحته وحجته القوية أحرس منافسه المانوى الذى بعدما كان يحظى بشهرة واسعة بين أقرانه تبدلت سيرته الطيبة إلى الخزي والعار⁽²⁾ " .

1- الأنا أيسيدورس ، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة ، 1 / 288 - 289.

2- The Roots of Egyptian Christinity, p.316.

ثالثاً : الردود الإثناسيوسية على الآريوسية : اتسمت ردود أثناسيوس على الآريوسيين بالقسوة والخروج عن ما يمكن أن يكون عليه القساوسة فوصف الآريوسيين بالشياطين والدجالين والكلاب والذئاب والأفاعى والشلق وعديمى الإيمان ، واليهود المعاصرون ، والأغبياء⁽¹⁾ ، وغيره مما سيرد في كلامه الذى سنطرحه لاحقاً.

وقد عقب أثناسيوس في ردوده على آريوس على أثر إيراده العديد من نصوص مصنفه ثانياً بألفاظ تحمل في طياتها النقد الفج والغیظ والتشفي ومنها " وهكذا بمثل هذه الكلمات يزعم ذلك العديم التقوى أن الابن منفصل بذاته وليس له شركة مع الآب اطلاقاً".

وقوله " هذه مقتطفات من النصوص الأسطورية كما جاءت في كتابات آريوس الهزلية " وقوله " فمن هو الذى يسمع مثل هذه الأقوال، ومثل هذا النغم في ثانياً، ولا يبغض آريوس وهو يقول بتمثيلته هذه؟ فمن لا يعتبر هذا الرجل مثل الحية التى قدمت المشورة للمرأة؟ ، ومن لا يرى - وهو يقرأ ما كتبه - تجديفه وتضليله، مثلما فعلت الحية وهى تحاول إغواء المرأة؟ فمن لا يفزع من هول هذه التجاديف؟. فكما يقول النبى "السماء تنذهل، والأرض تقشعر" (أر:2:12) من جراء التعدى على الشريعة. أما الشمس فإذ لم تحتمل تلك الإهانات المثيرة التى وقعت على جسد الرب المشترك لنا جميعاً. والتي احتملها هو نفسه من أجلنا بإرادته. فإنها استدارت وحجبت أشعتها. وجعلت ذلك اليوم بلا شمس وإزاء تجديفات آريوس، كيف لا تتمرد حياة البشرية فتصاب بعدم النطق، فيصمون آذانهم، ويغلقون عيونهم. هرباً من سماع هذه التجديفات. ومن رؤية وجه كاتبها؟ ، وبالأحرى كيف لا يصرخ الرب ذاته ضد هؤلاء العديمى التقوى، بل والجاحدين أيضاً.

وقوله : " ومن أجل ذلك السبب أيضاً، فإن المجمع المسكونى طرد، آريوس الذى علم بهذه الأمور، من الكنيسة وحرمه، إذ لم يحتمل المجمع كفره وجحوده، ومنذ ذلك الحين، فقد اعتبر ضلال آريوس. هرطقة تفوق سائر الهرطقات، حيث لقب بعدو المسيح ، وعمهداً للمسيح الدجال.

¹ ; 25-21 : أنظر : المقالة الثالثة ، ص 25-21 ، The religious of free protestant german Unitarians - أنظر : المقالة الثالثة ، ص 25-21 ، germany , pp. 114.

وقوله: "الحكم ضد الآريوسية، يعتبر في ذاته كاف جداً لأن يجعل الناس يهربون بعيداً عن هذه الهرطقة الكافرة".

ويتحدث أثناسيوس في رده على آريوس والآريوسية في مقالته الأولى قائلاً: وحيث أن واحد من الهرطقات، وهى الهرطقة الأخيرة - التى ظهرت الآن كتمهيد لضد المسيح (المسيح الدجال) - وهى التى - تسمى الآريوسية، وإذ هى باطلة وخبيثة وماكرة، فقد لاحظت أن أخواتها من الهرطقات الأخرى الأقدم منها، قد فضحت جهازاً، ولذلك فأنها - مثل أبيها - الشيطان - تظاهرت بلبس كلمات الكتاب المقدس، لتحاول الدخول مرة أخرى إلى فردوس الكنيسة لكي تظهر كأنها مسيحية بغير وجه حق، وأن تخدع البعض لكي يفكروا ضد المسيح، معتمدة على أباطيلها الزائفة. إذ ليس فيها شئ من الصواب، وها هى قد أغرت بعض الحمقى من هؤلاء الذين لم يهلكوا فقط بالسماع بل أيضاً - مثل حواء - أخذوا وتذوقوا، حتى أنهم - بسبب جهلهم وعدم درايتهم صاروا يعتبرون المرحلوا (أش 2:5) وأخذوا يطلقون على هرطقتهم الشنيعة أنها حسنة، ولهذا أعتقدت - بعد أن طلبتم منى - أنه صار ضرورياً أن أفتت قوة درع هذه الهرطقة الدنسة، وأن أكشف عن ننانة حماقتها، وعفن وقاحتها، لكي يتجنبها الذين ما زالوا بعيدين عن هذه البدعة، وأيضاً لكي يندم الذين خدعوا بها، فيتوبوا. ولكي يدركوا بعيون قلوبهم المفتوحة أنه كما أن الظلام ليس نوراً، والكذب ليس حقيقة، هكذا فليست الآريوسية بدعة حسنة.

ويقول: أى شبه رآه هؤلاء إذن، بين هذه البدعة وبين الإيمان الحقيقي. حتى أنهم يقولون بأنه لا يوجد شئ ردى فيما يعلمه أولئك (المبتدعون)؟ ومعنى هذا في الحقيقة، أنهم يعتبرون قيافاً مسيحياً. وأيضاً لا يزالون يحسبون يهوذا الخائن بين الرسل، ويقولون عن أولئك الذين طالبوا بإطلاق سراح باراباس بدلاً من المخلص، إنهم ما اقترفوا أي أثم، وهم يمدحون هيمينايس والإسكندر⁽¹⁾ على أعتقادهما القويم، ويعتبرون أن الرسول يكذب بخصوصهما. إلا أن هذه الأشياء لا يستطيع أن يحتمل المسيحى سماعها، كما أن ذلك الذى يجروء أن يتحدث بمثل هذه الأقوال، لا يمكن إعتباره سليم العقل والإدراك. فبالنسبة

1- هيمينايس والإسكندر اثنان من المعلمين فى المسيحية الأولى، حرمهما بولس الرسول من الخدمة فى الكنيسة لأنها آمنة وعلمها بأن القيامة قد صارت.

للآريوسيين يعتبر آريوس لديهم بدلاً من المسيح، مثل ماني عند المانويين، وفي مقابل موسى والقديسين الآخرين عندهم سوتيداس⁽¹⁾ الذي كان يهزأ بالاميين (الوثنيين). وكذلك ابنة هيروديا⁽²⁾. لأن آريوس وهو يكتب الثاليا كان يقلد الأسلوب النسائي المنسوب إلى سوتيداس، وكما أهرت ابنة هيروديا هيرودس برقصها، كذلك آريوس سخر الرقص واللهو في التشهير والافتراء على المخلص.. وهو قد فعل هذا. من ناحية لكى يموء ويضلل عقول هؤلاء الذين انغمسوا في الهرطقة لدرجة الجنون. ومن ناحية أخرى لكي يبدل اسم رب المجد إلى شبه صورة إنسان زائل (رو 1:23). وهكذا يتخذ مشايعوه اسم الآريوسيين بدلاً من المسيحيين ويكون هذا دليلاً قاطعاً على كفرهم.

ويقول: وحيث أننا جميعاً من المسيح يقينا. لذلك فإننا ندعى مسيحيين. وقديماً عندما طرد ماركيون وألقى بعيداً لأنه ابتدع الهرطقة، فإن هؤلاء الذين كانوا معه ورفضوه عندما حرم من الكنيسة ظلوا مسيحيين، في حين أن الذين تبعوا ماركيون وشايعوه لم يسموا بعد مسيحيين بل لقبوا ماركيونيين. وهكذا أيضاً فالتينوس وباسيليدس وماني وسيمون الساحر، فأنهم نقلوا وأعطوا لأتباعهم أسماءهم الخاصة، ولذلك صار البعض يلقبون فالتينيين والبعض الآخر باسيليديين وآخرين سيمونيين. والبعض الآخر الذين هم من فرجيا لقبوا فرجيين، والذين من نوفاتيس نوفاتيين.

وهكذا أيضاً ميليتيوس عندما طره وحرمه بطرس الأسقف والشهيد، لم يعد يطلق على أتباعه اسم مسيحيين بل ميليتيين. وهكذا فقد حدث نفس الشيء أيضاً حينما حرم الكسندروس المطوب الذكر آريوس، فإن الذين ظلوا مع الكسندروس بقوا مسيحيين أما الذين خرجوا منشقين مع آريوس، فإنهم تخلوا عن اسم المخلص لنا نحن الذين بقينا مع الكسندروس، ومن ثم أطلق على أولئك اسم الآريوسيين. وها هو الآن بعد موت الكسندروس، فإن الذين لهم شركة مع خليفته أثناسيوس، وأولئك الذين ارتبط أثناسيوس نفسه معهم في الشركة الكنسية لهم نفس الميزة.

1- سوتيداس شاعر يوناني قديم من مارونيا، ذاع صيته أيام حكم بطليموس فيلاديفوس. وكان موضوع أشعاره من الميثولوجيا اليونانية ذات الأسلوب الفاضح الوقح، ولذلك سمى بالشاعر الداعر.

2- ابنة هيروديا، كانت قد ابهجت صدر هيرودس برقصاتها المغرية لدرجة أنها أخبرته أن يقدم لها رأس يوحنا السابق على طبق أنظر متى 14:1-12، مر 6:17-29.

ويقول : أما أولئك الذين يتبعون الهرطقة، فحتى لو كان لديهم آلاف الخلفاء، فإنهم حتماً يتخذون لهم اسم من ابتدع الهرطقة، وهكذا فإنه حتى بعد أن مات آريوس. رغم أن عدداً كبيراً خلفه فى هرطقته، إلا أن هؤلاء الذين اعتقدوا بتعاليم ذلك الرجل والمعروفين بمشايعتهم لآريوس، فإنهم يسمون آريوسيون. والبرهان العجيب على هذا، أن أولئك الوثنيين الذين دخلوا الى الكنيسة - ولا يزالون يدخلون فيها حتى الآن، إذ يهجرون ضلالة الأوثان، فإنهم لا يدعون بأسماء الذين علموهم أصول الإيمان. بل يدعون باسم المخلص، وصاروا يدعون باسم المخلص، وصاروا مسيحيين بدلاً من وثنيين، بينما أولئك الذين ينضمون إلى الهرطقة. والذين يتحولون من الكنيسة الى الهرطقة، فإنهم يهجرون اسم المسيح، وتبعاً لذلك يتخذون أسم الآريوسيين، إذ لم يعد لهم إيمان بالمسيح قد، بل صاروا خلفاء لجنون آريوس وخبله.

ويقول : كيف يمكن إذن أن يكونوا مسيحيين أولئك الذين هم ليسوا بمسيحيين بل هم مجانين الآريوسية؟. أو كيف ينتمى هؤلاء الى الكنيسة الجامعة، وهم قد انفضوا عن الإيمان الرسولى ونبذوه وصاروا مبتدعين شروراً جديدة، وبعد أن نبذوا أقوال الكتابات الالهية، فإنهم يسمون ثاليا آريوس حمة جديدة؟ وما يقولونه يثبت حقاً أنهم يبشرون بهرطقة جديدة. ولهذا السبب أيضاً فقان الانسان ليدهش، أنه فى حين أن كثيرين كتبوا مؤلفات كثيرة وعظات أكثر عدداً حول العهدين القديم والجديد، فليس فى أى منها شئ مما ابتدعته ثاليا، بل حتى لا يوجد شئ منها عند كبار الأميين وعظمائهم... ولكنها موجودة فقط بين أولئك الذين ينشدون ويتغنون وهم ثمالى وسكارى بين قرقة الكؤوس والصخب والسخرية أثناء عبثهم ولهوهم ليثيروا ضحك الآخرين.

إن آريوس الغريب، فى الواقع لم يقلد أحداً وقوراً، وإذ كان يجهل كتابات الرجال الوقورين من عظماء القوم، فإنه كان يختلس كثيراً من الهرطقات الأخرى ، ولا يوجد له منافس فى مجال الهزل والسخرية غير سوتياس وحده. لأنه ماذا كان فى وسعه أن يعمل سوى أن يرغب فى التحول ضد المخلص. بأناشيده الراقصة، معبراً بثرثته الموقته وطننته البغيضة عن كفره وإلحاده، مستخدماً فى ذلك رخامة ألحانه المنحرفة الفاسقة؟ وهذا كى يتأكد ويتضح فساد ما كتبه.

ثم يقول فهو مثل الثعبان الذي يلتف حول نفسه صاعداً هابطاً، ولكنه - (أى آريوس) قد سقط في ضلال الفريسيين عندما أرادوا مخالفة الشريعة، فأتهم تظاهروا بأنهم غيرون على أقوال الناموس. وعندما أرادوا أنكار الرب المنتظر، بينما كان هو نفسه حاضراً بينهم... فإنهم ادعوا بأنهم يستشهدون بالله. ولكنه أثبتوا بذلك أنهم يجدفون بقولهم... هكذا أيضاً آريوس المزيف والذي حذو سوتيداس، فإنه يزعم أنه يتحدث عن الله، مستخدماً كلمات الكتاب المقدس، ولكنه أثبت من كل النواحي أنه كافر وذلك بإنكاره الابن، معتبراً إياه من بين المخلوقات.

ومن جملة الردود الأثناسيوسية الرد على المفاضلة بين الإبن المولود والآب غير مولود فالآريوسيون يقولون أن الآب متفوق على الابن (وأيضاً على الروح القدس لأن الروح القدس منبثق، أما الآب فغير منبثق) ، ويقول آريوس إن الإبن لا يمكن أن يكون مساوياً للآب في الجوهر لأن الآب جوهره غير مولود والابن جوهره مولود.

وقد استخدم أثناسيوس تشبيه ينبوع والتيار في وصف العلاقة بين الآب والابن. فقال ينبوع والتيار هما نفس الماء الواحد (مياه واحدة). ينبوع هو والد والتيار هو مولود. ولكن ينبوع الماء لا يلد تياراً من الزيت أو الزئبق أو أي سائل آخر. وبهذا لا نرى اختلافاً في الجوهر بين ينبوع والتيار. فلا يمكن لينبوع ماء حلو أن ينتج تياراً من ماء مر أو ماء مالح.

قال أثناسيوس: [ولكن كما أن النهر الخارج من ينبوع لا ينفصل عنه، وبالرغم من ذلك فإن هناك بالفعل شيئين مرئيين واسمين. لأن الآب ليس هو الابن، كما أن الابن ليس هو الآب، فالآب هو أب الابن، والابن هو ابن الآب. وكما أن ينبوع ليس هو النهر، والنهر ليس هو ينبوع، ولكن لكليهما نفس الماء الواحد الذي يسرى في مجرى من ينبوع إلى النهر، وهكذا فإن لاهوت الآب ينتقل في الابن بلا تدفق أو انقسام. لأن السيد المسيح يقول "خرجت من الآب" وأتيت من عند الآب. ولكنه دائماً أبداً مع الآب، وهو في حضن الآب. وحنن الآب لا يخلُ أبداً من الإبن بحسب ألوهيته.⁽¹⁾ لأن القديس يوحنا الإنجيلي يقول "الله لم يره أحد قط، وحيد الجنس الإله الذي هو في حضن الآب، هو خبّر" (يو: 1: 18).

¹-P. Schaff & H. Wace, N & P. N. Fathers, series, 2, Vol IV, Saint Athanasius, Exposito Fidei (Statement of Faith), Eerdmans Pub. 1978, P. 84,85.

فحضر الآب لا يخلو أبدًا من الابن حتى حيننا تجسد عندما أرسله الآب إلى العالم وقال "خرجت من عند الآب" (يو16: 28).

ويشير أثناسيوس إلى أن الآب هو ينبوع الحكمة ونبوع الحياة، وأن الابن هو الحكمة وهو الحياة. فيقول: [إن كان يقال عن الله أنه ينبوع حكمة وحياة كما جاء في سفر أرميا "تركوني أنا ينبوع المياه الحية" (أر2: 13) وأيضًا "كرسى مجد مرتفع من الابتداء هو موضع مقدسنا. أيها الرب رجاء إسرائيل كل الذين يتركوك يخزون. والحائدون عنى في التراب يكتبون لأنهم تركوا الرب ينبوع المياه الحية" (أر17: 12، 13). وقد كتب في باروخ "إنك قد هجرت ينبوع الحكمة" (باروخ3: 12) وهذا يتضمن أن الحياة والحكمة لم يكونا غريبين عن جوهر الينبوع بل هما خاصة له (خواص له)، ولم يكونا أبدًا غير موجودين، بل كانا دائمًا موجودين. والآن فإن الابن هو كل هذه الأشياء وهو الذي يقول "أنا هو.. الحياة" (يو14: 6).. كيف إذا لا يكون كافرًا من يقول "كان وقت ما عندما لم يكن الابن فيه موجودًا لأن هذا مثل الذي يقول تمامًا كان هناك وقت كان فيه الينبوع جافًا خاليًا من الحياة والحكمة. ولكن مثل هذا الينبوع لا يكون ينبوعًا، لأن الذي لا يلد من ذاته (أي من نبعه الخاص) لا يكون ينبوعًا." (1).

وأما بشأن الروح القدس فقد أعلن أثناسيوس منذ البداية رأيه في كلام الآريوسيين بخصوص الروح القدس (2) وذلك في رسالته الأولى ضد الآريوسية (الفصل الثامن) فقال:

1- المقالة الأولى ضد الآريوسية، فصل 6 : 19.

2- تمثلت أفكار الآريوسيين بشأن الروح القدس في التالي: "نحن نؤمن بالروح القدس، الباراقليط، روح الحق، الموعود به من الأنبياء ومن الرب، وأرسل إلى الرسل ليعلمهم كل شيء وليعزى ويقدم ويكمل المؤمنين. والابن هو الذي منح الروح القدس للكنيسة بحسب إرادة الله. لذلك نحن نحرم كل من يقول أن الروح القدس هو إله غير مخلوق، ونحرم كل من يخلط بين شخص الروح القدس وشخص الابن أو يقول أنه من الآب، أو يقول إنه من الابن الذي هو به (وليس منه)، أي أرسل به إلى العالم. ونحن نرفض الاصطلاح غير الكتابي "جوهر واحد" للآب والابن والروح القدس"; وقد كتبت هذه التعاريف في الفترة ما بين مجمع نيقية سنة 325م وبين سنة 360م. فتمكن كل من الآريوسيين وأيضًا اليوسابين من شرح وجهة نظرهم باستفاضة تجاه إنكارهم للاهوت الروح القدس ضمن قوانينهم الكثيرة التي خرجوا بها للعالم بعد المجامع التي عقدها.

"كيف يمكن أن يكون إيمانه بالروح القدس إيمانًا صحيحًا، طالما يتكلم بتجديف على الابن⁽¹⁾" منكرًا مساواته للآب في الجوهر.

وبعد عودة القديس أثناسيوس إلى الإسكندرية من منفاه عقد مجمعًا وأصدر منشورًا مجعياً يحمل أول حكم بالإدانة تصدره الكنيسة ضد عدم الإيمان بلاهوت الروح القدس، وقد قبل الأسقف بولينوس في أنطاكية الوثيقة بكل فرح ووقع عليها بامضائه. وقد أعلن مجمع الإسكندرية في هذه الوثيقة بكل وضوح أن الروح القدس واحد في الجوهر مع الآب والابن (إذيرتون تيس أوسياس تو أيو كى باتروس). لم يقل (هومو أسيون توباترى) لأن عبارة "واحد في الجوهر" تعتبر أخف، حيث أن الوضع كان ملتهبًا بشدة نتيجة وجود أنصاف الآريوسيين في منطقة أنطاكية (مثل يوسابيوس النيقوميدي ويوسابيوس القيصري⁽²⁾).

كما قاوم أثناسيوس في رسالته الثالثة ضد الآريوسيين فكرة أن الروح القدس هو الذي يوحد الآب بالابن، أو يمثل الرباط بين الآب والابن، لأن الروح القدس لو كان هو مجرد رباط الوحدة بين الآب والابن، فهو إذن ليس أقنوم وفي ذلك يقول أثناسيوس: "لأن الابن لا يأخذ الروح القدس لكي يصير هو أيضًا في الآب، ولا الابن يتقبل الروح القدس بل بالحرى هو بنفسه يمدّ به الجميع، والروح القدس لا يوحد الكلمة بالآب (The Spirit does not unite the Word to the Father).. فالابن هو في الآب لأنه كلمته وشعاعه⁽³⁾".

وقد انبرى في هذه الحقبة مقدونيوس وماراثونيوس اللذان رفضا بشدة القول بلاهوت الروح القدس، وظلا يعلمان أن الروح القدس مخلوق وخادم الله، ولذلك دعياهما وجماعتهما بمحاربي الروح القدس الذين حرمتهم الكنيسة آنئذ.

¹-N. & P. N. Fathers, series 2, Vol. IV, St Athanasius, Eerdmans Pub. Com., Grand Rapids, Michigan, reprinted 1978, Four Discourses Against Arians, Discourse 1, chapter III, par. 8, p. 310.

² N & P. N. Fathers, series 2, Vol. IV, St Athanasius, Eerdmans Pub. Com., Grand Rapids, Michigan, reprinted 1978, Expositio Fidei, p. 84.

³- N & P. N. Fathers, series 2, Vol. IV, St Athanasius, Eerdmans Pub, discourse III, chapter 25, par 24, p. 407.

كان الشغل الشاغل لأثناسيوس الذي من أجله كرس كل وقته وقواه وجهوده هو :
"الشهادة لألوهية المسيح" والتي بدونها لم يكن يتصور حدوث أي فداء أو خلاص للإنسان ،
وهي الأمور التي فندها آريوس وأثبت بطلانها بعد أن أتى عليها من القواعد .

وتعتبر المقالات الأربعة ضد الآريوسيين هي الكتاب الرئيس من بين كتابات القديس
أثناسيوس اللاهوتية التي يدافع فيها عن ألوهية المسيح ضد الآريوسية⁽¹⁾ . فقد طلب
القديس سرايون (أسقف تيميس بشمال الدلتا صديق القديس أثناسيوس والمعاصر له) في
رسالة بعث بها إلى القديس أثناسيوس ، طلب منه ثلاثة أشياء هي :

1- تاريخ للأحداث الجارية (أى تاريخ البدعة الآريوسية المعاصرة وقتئذ).

2- شرح ومناقشة للبدعة الآريوسية ورد على أفكارها.

3- تاريخ دقيق حول موت آريوس.

1- صدرت الترجمة العربية للمقالة الأولى سنة 1984، وهي أول ترجمة عربية لهذه المقالة ، وقد وضع لها
بالعربية عنوان ثاني هو " الشهادة لألوهية المسيح." ؛ وكانت قد صدرت الطبعة الأولى للمقالة الأولى ضد
الآريوسيين في ديسمبر 1984 وعدد صفحاتها 136 صفحة من القطع اليوناني المتوسط وتمت الترجمة عن
مجموعة الآباء اليونانية مجلد 26، Migne (PG 26) وعن " سلسلة آباء الكنيسة اليونانية (E.P.E) "
الصادرة عن " دار نشر الآباء بتسالونيكى باليونان سنة 1974 ، وقام بالترجمة الأستاذ صموئيل كامل عبد
السيد والدكتور نصحي عبد الشهيد ونشرها مركز دراسات الآباء بالقاهرة ؛ وصدرت الطبعة الأولى "
للمقالة الثانية ضد الآريوسيين" في أكتوبر 1987 في 124 صفحة من القطع المتوسط. وتمت الترجمة عن
مجموعة الآباء اليونانية مجلد 26 (Migne, P.G26)، وعن " سلسلة آباء الكنيسة اليونانية" (E.P.E)
الصادرة عن " دار نشر الآباء بتسالونيكى باليونان سنة 1974 ، وقام بالترجمة الأستاذ صموئيل كامل عبد
السيد والدكتور نصحي عبد الشهيد ونشرها مركز دراسات الآباء بالقاهرة ؛ وصدرت طبعة ثانية منقحة "
للمقالة الثانية ضد الآريوسيين" ، هذا العام 1998 في 122 صفحة ؛ وصدرت " المقالة الثالثة" ضد
الآريوسيين عام 1994 في 120 صفحة من القطع المتوسط عن مجموعة الآباء اليونانية مجلد 26، (Migne,
P.G26)، وعن " سلسلة آباء الكنيسة اليونانية" (E.P.E) الصادرة عن " دار نشر الآباء بتسالونيكى
باليونان سنة 1975؛ وصدرت الطبعة الثانية سنة 2007 طبعة منقحة راجعها د. نصحي عبد الشهيد ود.
جوزيف موريس فلتس ، وقام بالترجمة أ. مجدي والاب صموئيل وهبة و د. نصحي عبد الشهيد. ونشرها
مركز دراسات الآباء بالقاهرة.

وفي رده على سراييون يكتب أثناسيوس تاريخ موت آريوس⁽¹⁾، ثم يرسل له بخصوص الطلبين الأول والثاني ما كان قد كتبه "إلى الرهبان ضد الآريوسية"، وهما "تاريخ الآريوسيين"، "المقالات الأربعة ضد الآريوسيين".

ويعتبر بعض المؤرخين أن التاريخ الذي كتب فيه القديس أثناسيوس المقالات هو فترة نفيه الثالث، أي ما بين 358-362م، ويتضح من كلام أثناسيوس نفسه أنه لم يكتبها ويقدمها معاً مرة واحدة، إنما قدمها على فترات في تلك السنوات⁽²⁾.

يقدم أثناسيوس في المقالة الأولى، ملخصاً لتعاليم الآريوسية كما جاءت في كتاب "ثالياً" تأليف آريوس، ثم يقدم دفاعاً عن تعليم مجمع نيقية المسكونى ضد الآريوسية بأن المسيح ابن الله هو أزلى وغير مخلوق وغير متغير، وعن وحدة الجوهر أو المساواة في الجوهر الواحد بين الآب والابن، ويفند اعتراضات الآريوسيين على هذا الإيمان النيقاوى الأرثوذكسى، وبعد ذلك يتناول بالشرح والبحث بعض نصوص الكتاب المقدس التي استخدمها الآريوسيون للطعن في ألوهية المسيح فيشرح:

أولاً - فيلبي 10، 2:9 "لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً ."

ثانياً - مزمو 8، 45:7 "من أجل ذلك مسحك الله الهك"

ثالثاً - عبرانيين 1:4 "صائراً أعظم من الملائكة.." ."

وفي المقالتين الثانية والثالثة يكمل شرح النصوص: عبرانيين 2:3، وأعمال 2:36، وأمثال 8:22؛ ونصوص من إنجيل يوحنا حول بنوة المسيح لله وعلاقة الابن بالآب والنصوص (متى 18:28)، يوحنا 3:53؛ مرقس 13:32، لوقا 2:52، متى 26:39، يوحنا 12:27 حول تجسد المسيح.

وفي المقالة الرابعة يكمل القديس أثناسيوس دفاعه عن أزلية "الابن الكلمة" وعدم مخلوقيته⁽³⁾.

1- رأفت عبدالحמיד، اغتيال آريوس، ص 55.

2- أنظر: المقالة الثانية، فصل 1؛ عزيز سوريال، تاريخ المسيحية، ص 37.

3- عن مصادر المقالات الأربعة والترجمة فأصل النص اليونانى ظهر في المجلد 26 من مجموعة الآباء باليونانية لمينى. (526 - 12 : 26 MG)؛ ونفس النص اليونانى الذي تمت عنه هذه الترجمة إلى العربية =

لقد صارت هذه "المقالات الأربعة ضد الآريوسيين" هي المصدر الذي ظل المدافعون عن لاهوت المسيح ينهلون منه على مدى القرون الماضية وحتى الآن؛ فأثناسيوس يؤكد على الأهمية القصوى لألوهية المسيح لأجل حقيقة الفداء ولأجل نوال النعمة، ولأجل معرفة الله التي توهب للإنسان الخاطيء بواسطة المسيح⁽¹⁾.

رابعاً : الردود الآريوسية على أثناسيوس : إلى جانب ردود آريوس على أثناسيوس وأتباعه في كتبه وحواراته وجدنا بعض أتباع آريوس بل أحد تلاميذه وهو أستيريوس الكبادوكي يتعقب أثناسيوس في مواضع عديدة ومنها تعقبه لأثناسيوس في احتجاجه بما في يوحنا 10:14 " أنا في الآب والآب في " حيث قال أستيريوس : " إنه واضح جدا أنه قد قال أنا في الآب والآب أيضا في لهذا السبب فلا الكلمة التي كان يقولها هي كلمته بل كلمة الآب ولا الأعمال هي خاصة به بل خاصة بالآب الذي أعطاه القوة " (2) ، وقال : " إن الابن والآب لا يمكن أن يكونا واحدا أو متماثلين بالكيفية التي تعلم بها الكنيسة " (3) ، وقال : " لأنه إما أن يكون من غير اللائق بالنسبة للخالق أن يشاء ثم بعد ذلك يفعل ، وبالتالي يجب أن يقال إنه يشاء فقط ، وحيث يجب أن ينسحب هذا على كل الخلائق حتى يحفظ الله عظمتة أو أن يكون من اللائق به أن يشاء أو لا يفعل بعد ذلك بالتالي يجب ان ينسحب هذا على أول وأفضل من ولده لأنه بالتأكيد من المستحيل أن يكون لأننا بنفس الإله الواحد أن يصنع أشياء بإرادته ، وفي نفس الوقت يصنع أشياء أخرى بغير إرادته " (4) ، وقال : " إن الابن ليس

= هو النص المنشور في "سلسلة آباء الكنيسة. E. II. E. ; كتابات أثناسيوس الاسكندري الكبير مجلد 2; دار نشر الآباء" تسالونيكى 1974، وهو يحوى النص اليونانى القديم في الصفحة اليسرى ويقابله في الصفحة اليمنى ترجمة إلى اليونانية الحديثة. كما تمت مقارنة الترجمة، بالترجمة التي أنجزها سنة 1844 الكاردينال نيومان Newman بالانجليزية والمنشورة بالمجلد الرابع من المجموعة الثانية من سلسلة آباء نيقية وما بعد نيقية.

1- أنظر : المقالة الأولى، 35 ، 49:50; المقالة الثانية، 67، 70، 69.

2- نقلا عن أثناسيوس ، المقالة الثالثة ، ص 13، 12.

3- نفسه ، ص 27.

4- نفسه ، ص 110.

من جوهر الأب وليس ابنا لله بالطبيعة بل هو ابنا بالتبنى مثل باقى المخلوقات ، وكذلك لا يكون الابن هو كلمة الله بالطبيعة بل بأخذه سلطان الكلمة مثل الأنبياء الذين أتت إليهم كلمة الله وهم مخلوقين⁽¹⁾ . " كذلك قال : " إن المسيح مثل الأنبياء⁽²⁾ " .
ومن جملة ردود الآريوسيين على أثناسيوس قولهم : " طالما أن الله يدعى الواحد والوحيد والأول فكيف تقولون إن الابن هو الله ؟ لأنه لو كان هو الله لما كان الله قد قال : " ليس إله معى " تثنية 32،39 ، ولم يقل : " إلهنا واحد " تثنية 426⁽³⁾ ، ومن حجج الآريوسيين على بشرية المسيح قولهم وهم يتعقبون أثناسيوس : " هو ذا بواسطة موسى قد أخرج الله الشعب من مصر ، وبواسطته أعطى الشريعة بالرغم من كونه إنسانا حتى يكون ممكنا أن تصير الأشياء المماثلة بواسطة ما يماثلها⁽⁴⁾ " .

1- نفسه ، ص 13 هامش 9 .

2- نفسه ، ص 14 .

3- نقلا عن أثناسيوس ، المقالة الثالثة ، ص 21 .

4- نقلا عن أثناسيوس ، المقالة الثانية ، ص 57 .